

منشئ المجلة

إبراهيم الجعفي

الشمس

المدير المسؤول

امين تقى الدين

الجزء السابع

نوفمبر (٢) ١٩١٢

السنة الثالثة

## الرتب والنياشين

الانسان بطبيعته ميال الى الزهو ، تواق بفطرته الى التفوق على ابناء جلدته ، شغيف بكل ما يميزه على الغير . تلك غريزة ملاصقة للنفس البشرية كيفما تكيفت وحيثما وجدت . ولذلك ترى منح الرتب والنياشين من العادات القديمة المنتشرة بين جميع الأمم والشعوب ، اياً كان شكل حكومتها . ولطالما استخدمها الرؤساء والحكام لاستمالة أصحاب النفوذ من المرؤوسين والمحكومين ، لانه اذا كان للرعية ألف وسيلة تتزلف بها الى عاهلها ، فللعاهل فيما تجود به يده من نعم الالقاب والاوزمة أحسن ذريعة للتزلف بدوره الى تلك الرعية . ولإن روى لنا التاريخ حادثة ذلك الكونت الذي مننه ملكه بقوله « من جعلك كونتاً ؟ » فأجابته ، ويده على قائم سيفه « أنت . ولكنني صيرتاك ملكاً » فلكم روى لنا عن استكانة أصحاب الألقاب الى الذل والخنوع لما منحهم ذلك اللقب الذي يخوّلهم حق التشاخر على من كان عطلاً منه . ولإن كان قانون الولايات

المتحدة يمنع الاميركيين من حمل الالقاب وعلامات الشرف ، فلكم رأينا من أغنيائهم يسعون زحفاً لتزويج بناتهم صاحبات الملايين من ذي لقب وان كان معدماً لا يملك شروى تقير

البحث في الرتب والنياشين من الابحاث التي كثر خوض الكتاب فيها . فن محبذ ومن مسفّه . وأدلة الفريقين مشهورة ، والحجج لها وعليها معروفة . يمكن ان تقابل وتقارن بينها دون ان تتوصل الى اقناع صاحب رأي فيها . هذا يسميها زينة فارغة ، ومجداً باطلاً ، وبهرجة كذابة . وذلك يقول عنها : علامة شرف ، وشهادة نبل ، ودليل مروءة ورفعة

تقول هذا مجاج النحل تمدحه وان ذممت تقل في الزناير

يسعى الآن فريق لالغاء الرتب وإبطال النياشين وسائر علامات الامتياز . وحجتهم في ذلك نشر المساواة بين الوطنيين . ولا سيما ان هذه الامتيازات لا تزيد في قدر الرجل وليست دائماً في الواقع علامة امتياز حقيقي ، بل كثيراً ما تكون موضوع تجارة سافلة من مانحها ، وذريمة للاعجاب والغطرسة من نائليها . ولظالما كانت موضوع الدسائس والمساعي الدنيئة في جميع أنواع الحكومات من امبراطوريات وملكيات وامارات وجمهوريات . وقد تبادر فكر الغاء النياشين والرتب الى ذهن رجال الثورة الفرنسية الكبيرة فألغوا كل ما خلفه عهد الملوك من الرتب والالقاب والنياشين ، ولكنهم لم يلبثوا ان اضطروا الى انشاء غيرها ليجعلوها علامة لكبرياء الناس . فأوجدوا اولاً ما سموه «أسلحة الشرف» وذلك مكافأةً للابطال الذين امتازوا في حملة ايطاليا . ثم لما قبض ناپوليون

بونابرت على أزمة الاحكام أخذ يمطر القاب الامتياز على قواده ، مضيفاً الى أسمائهم الاصلية أسماء الانتصارات التي أحرزوها في المواقع الحربية . وكان قد أنشأ وسام فرقة الشرف ( لجيون دونور ) وجعل عدد حاملي هذا الوسام ٦٠٠٠ فقط . فجاءت الامبراطورية الثانية وزادت على هذا الرقم أصفاراً فجعلته ٦٠,٠٠٠ . ولا يزال التاريخ يذكر ذلك الاحتفال الباهر الذي أقيم يوم وزع بونابرت هذا النيشان على مستحقيه

ولا ينكر ان من الخدمات الجلّي ما لا يمكن اثابة من يقوم بها بالدرهم . وهذا ما يدعيه مريدو الرتب والنياشين . فيرونها والحالة هذه أسمى ثواب وخير جزاء ، فضلاً عن أنهم ينظرون فيها باعثاً للنشاط ، معززاً للجد في سبيل الخير العام ، مشيراً للمواطن النبيلة في النفوس واذا كانت احياناً تنال عن طريق الثروة ، فكثيراً ما تكون ايضاً جزاء عمل جليل يؤول الى ترقية البلاد مادياً أو أدبياً أو علمياً أو فنياً ، فأصبحنا نراها على صدر الجندي والشاعر والعالم والمخترع وصاحب الفن ، وصار عدد حاملي النياشين من هذه الطبقات يزداد يوماً فيوماً . وقد قال الشاعر الفرنسي رويستان عن لسان ابن نابوليون : « كان بودّ أبي ان يجعل الشاعر كورنيل اميراً فسأجعلنّ فيكتور هوغو دوقاً » ... وعلى كل فيجب التحفظ والاعتدال في توزيعها حتى تبقى علامة امتياز حقيقي لا تبذل فتفقد قيمتها في أعين الناس . ولا بأس في هذا المقام من ايراد نكتة للملك فيكتور عمانوئيل الايطالي فانه كان يقول « شيطان لا يمكن ان ان أرفضهما لأي رجل فرنسوي يطلبهما مني بتأدب : عود كبريت ليولع

سيجارته ، ونيشان القديسين موريس ولازار ليزين صدره « . . .  
ولقد اشتهر أمر كثيرين من مشاهير العلماء وكبار الرجال الذين  
رفضوا بتاتا الرتب والنياشين ، وكان رفضهم عن اخلاص في الاعتقاد  
ورسوخ في المبدأ . غير ان رفض البعض كان يتم عن كبرياء حقيقية  
وعجرفة فعلية . وما الرتب والنياشين في الحقيقة الا كمصباح يحمله  
الانسان ، فييدي عيوبه اذا كان ناقصاً ، ويظهر محاسنه اذا كان كاملاً  
قال أحد كتّاب الغربيين : « يجب ان نعجب لا ان نضحك من  
هذا الاختراع الكبير - اختراع الاوسمة والنياشين - فهو اختراع قوة  
أدبية هائلة تفوق أهم الاختراعات اذ يحمل الناس على اقتحام غمرات  
الردى لنيل قطعة من المعدن يرون فيها أمجد مجدٍ وأشرف شرفٍ  
وأعظم جزاء . هذا جنون ولكنه جنون جميل »  
وكان الناس خافوا على هذه الامتيازات من الطامعين فيها يدعونها  
كذباً وزوراً فجعلوا في القانون مادة تعاقب بالسجن من ستة أشهر الى  
سنتين من يحمل نيشاناً لم يُنعم عليه به ، كما انهم يغرّمون من ينتحل  
لنفسه لقباً من ألقاب الشرف جزاءً نقدياً من ٥٠٠ الى ١٠٠٠٠ فرنك  
وأحسن ما يحتم به هذا المقال كلمة جامعة شاملة على ايجازها ، لأحمد  
فارس الشدياق عن الالقاب قال : « هي خرقه تستر عورة الاسم الذي  
أُطلق على المسمى . . . بل هي كالبطاقة شُدّت الى لابسها ليُعرف بها  
سعره . الا انه كثيراً ما يقع الغلط في إلصاقها بمن ليس بينه وبينها  
علاقة . . . »



بعد أن تكلمنا عن الرتب والنياشين من الوجهة الأدبية الاجتماعية ،  
يجدر بنا أن نقول عنها كلمة من الوجهة التاريخية

تقدم أن منح النياشين وعلامات الشرف والامتياز عادة قديمة .  
وكان أبطال الرومانيين عندما يصيبهم من الغنيمة على العدو يُثابون  
بأسلحة شرف يوزعها عليهم القائد في مجمع من الجيش ويطري بساتهم  
وإقدامهم . وكان يُنعم عليهم بنياشين وعلامات تزينون بها في الحفلات  
العمومية ، كما هي العادة اليوم ، وأشهرها الأكاليل :

فكان « الأكليل المعسكر » يُمنح لأول جندي يدخل معسكر  
الاعداء ، و « الأكليل الحصن » لأول جندي يهاجم قلعتهم . وكان يُنعم  
« بأكليل البحر » على القائد البحري الذي يكسر اسطولاً أو على النوتي  
الذي يسبق رفاقه بالصمود إلى مركب العدو . أما « الأكليل الزيتون »  
فكان للعساكر والضباط الذين امتازوا في معركة حربية ، و « الأكليل  
المدني » للذي ينقذ حياة أحد الرومانيين . وكان الجيش يقدم « الأكليل  
الكلاب » للقائد الذي ينجيه من أيدي العدو . أما « الأكليل الآس »  
و « الأكليل الغار » فكانا للقائد الذي يخرج شعب رومنة لملاقاته بعد  
العودة من فتح كبير أو انتصار باهر

وعلى عهد الامبراطورية الرومانية ، وُضع حدٌ فاصل بين هذه  
الانعامات . فكانوا يسمون الأكاليل « الانعامات الكبرى » . أما  
« الانعامات الصغرى » فمنها « السوار » في الذراع و « القلادة » في

العنق و « الدائرة » على الصدر و « القرون » على الخوذة . وكانت هذه الشارات من الذهب أو الفضة . وكان منح الانعامات الكبرى من حق مجلس الشيوخ ( السناتو ) أو الجيش ، ومنح الانعامات الصغرى من حق قواد العساكر . وكان يجوز للروماني ان يُحرز كل هذه الامتيازات معاً وعدداً كبيراً منها . فان سكسيوس دنطاطوس نال ٢٢ ربح شرف و ٢٥ اسطوانة و ٨٣ قلادة و ١٦٠ سواراً و ٢٦ اكليلاً

أما قدماء اليونان فلم يكن عندهم كل هذه الانواع الكثيرة من علامات الشرف . وأشهرها عندهم « الاكليل » وخطيبهم الاكبر ذيموستينوس خطبة معروفة في هذا الموضوع

وكانت علامات الامتياز في ما مضى عسكرية على الغالب للتمييز بين القواد وطبقات الضباط والعساكر . على أن الملوك أخذوا يوجدون الاوسمة الخاصة ينعمون بها على كل من خدم بلاده . فأنشأ شارلمان وسام « التاج الملكي » والملك لويس التاسع وسام « كوز اللزان » والملك جان وسام « النجمة » والملك هنري الثالث وسام « الروح القدس » وأنشأ لويس الرابع عشر وساماً باسم جده الاكبر « القديس لويس » واتخذ لويس الخامس عشر من هذا الوسام طبقة ثانية سماها وسام « الاستحقاق العسكري » للانعام به على غير الكاثوليك من رعاياه . ولما جاءت الثورة الفرنسية ألغت جميع الألقاب والنياشين . على ان نابليون أعادها فأنشأ نيشان اللجيون دونور كما تقدم<sup>(١)</sup>

(١) سنأتي في الجزء القادم على ذكر الألقاب والنياشين الموجودة في كل دولة من الدول